الفصل الخامس

ديفيد فروم.. المبشر بالحرب !

(إنه استثناء حاد لميثاق الرقة واللطف بالبيت الأبيض.. وهو حاد الطباع..كثير الأخطاء.. وغير صبور.. سطحى.. سريع الغضب.. دوجماتى (عقائدى) دون بينة أو دليل.. وليس فضوليا.. لذا فإن معلوماته ضعيفة.. وتقليدى التفكير).. بهذه الكلمات وصف ديفيد فروم أحد كتاب خطابات بوش.. رئيسه (السابق)!

ديفيد فروم.. هو (سارق) وليس صانع مصطلح (محور الشر)! سرق من زوجته الأديبة والصحفية.. فأطاحت به تلك السرقة خارج البيت الأبيض!! وديفيد (اليهودى) يشهر سلاح معاداة السامية ضد كل من ينتقده أو يختلف معه.. كاتهام سابق التجهيز!

وديفيد فروم هو أحد صناع الشر البارزين.. ومؤلفاته العديدة - القديمة والجديدة - تعكس وجهة نظر غلاة المحافظين وتؤكد الإيمان بأيديولوجيتهم التى تطالب أمريكا بالهيمنة على

العالم. وآخر إبداعات ماكينة الشر (فروم) - مع شريكه ريتشارد بيرل عضو مجلس سياسات الدفاع بالبنتاجون - هو كتاب (نهاية شر.. كيف يمكن الانتصار فى الحرب على الإرهاب؟).. ومن قبله أصدر ديفيد فروم عدة مؤلفات أبرزها: (الرجل المناسب).. و(كيف وصلنا إلى هنا؟).. و(الحق الميت).. و(ما هو الحق؟).. و(الأغلبية المحافظة الجديد وإعادة صياغة أمريكا)..

أبرز مناصب ديفيد فروم.. عمله كاتبا لخطابات الرئيس بوش من يناير ٢٠٠١ إلى فبراير ٢٠٠٢.. وهو الآن عضو بمعهد (أمريكان انتربرايز).. أحد أهم المراكز الفكرية والبحثية التى تعبر عن الاتجاه اليمينى المحافظ.. إضافة إلى عمل فروم كاتبا وصحفيًا بارزًا فى العديد من المجلات والصحف والدوريات داخل الولايات المتحدة وخارجها.. ومنها (ناشيونال ريفيو).. و(ناشيونال بوست) الكندية.. و(الديلى تليجراف) البريطانية.. و(نيويورك تايمز).. و(وول ستريت جورنال) الأمريكيتان.

إبداعات الشر !!

أصدر ديفيد فروم أول (إبداعاته) عام ١٩٩٤ بعنوان (الحق الميت).. ووصفه ويليام باكلى آنذاك بأنه أكثر التجارب الأيديولوجية حداثة خلال جيل كامل. ووصفه كاتب آخر فى

النيويورك تايمز بأنه أكثر الكتب التى تعكس أعماق فكر المحافظين الجدد.

وترى رول ستريت جورنال أن ديفيد فروم من أبرز المعلقين السياسيين فى جيله. وعندما نشر كتابه (كيف وصلنا إلى هنا؟) عام ٢٠٠٠.. وصفه ميشيل بارون رئيس تحرير السياسة فى دائرة المعارف (الماتاك) بأنه أكثر الكتب التى توضح كيفية وصول الولايات المتحدة إلى هذا الطريق. وفى عام ٢٠٠١ دخل فروم ضمن أهم مائة شخصية ثقافية مؤثرة فى الولايات المتحدة. وقد ولد فروم فى تورنتو الكندية عام ١٩٦٠.. وتخرج فى جامعة (ييل) عام ١٩٨٢.. وعمل مدرسا للتاريخ فى ذات الجامعة عام ١٩٨٦.. وتخرج فى مدرسة القانون بجامعة هارفارد.. وهناك تولى رئاسة الجمعية الفيدرالية. وهو يعيش الآن فى واشنطن مع زوجته الصحفية والأديبة دانييل كريتندن.. ومع أبنائه الثلاثة.

ويروى (فروم) كيف تمت دعوته إلى البيت الأبيض للقاء مايكل جيرسون - كبير كتاب خطابات بوش.. ويقول: «إن أولى الكلمات التى سمعتها داخل البيت الأبيض هى اللوم والتوبيخ لعدم دراسة الإنجيل». وكانت تلك الكلمات موجهة إلى جيرسون وليس إلى فروم!

ومع ذلك فقد جعلته يرتعد وينتفض! وجاءت بعد شهر من طلب جيرسون انضمام (فروم) إلى هيئة كتاب خطابات بوش. يضيف فروم: إن معرفتى باهتمام البيت الأبيض بدراسة الإنجيل - وإن كان ليس إلزاميًا - أثارت قلقى ومخاوفى باعتبارى (يهوديًا) ولست (مسيحيًا). ويؤكد ديفيد فروم أنه فوجئ بعقد جلسات صباحية لدراسة الإنجيل داخل البيت الأبيض!

وعلى رغم أن زيارته للبيت الأبيض كانت محدودة ومحددة بخمس دقائق فقط.. فقد أتاحت له معرفة سريعة بأحوال ساكنيه.. أبسطها ضرورة الالتزام التام بالمواعيد. يقول (فروم) إنه حاول أن يشرح لـ جيرسون إنه ليس الشخص المناسب لهذه المهمة (كاتب خطابات بوش).. (فلم يكن لدىَّ أى ارتباط أو اتصال بحملة بوش أو بعائلته.. ولم أكن قد كتبت خطابًا لأحد.. سوى لنفسى) لقد كنت مؤيدًا لبوش.. باعتدال.. بل إننى لم أكن متحمسًا له.. وأكثر من ذلك كنت أشك فى أنه هو الرجل المناسب لتلك المهمة!

ويواصل فروم حديثه عن رئيسه قائلاً: «كل من قابلوا بوش على انفراد أو ضمن جماعات محدودة زعموا أنهم تأثروا به.. على رغم أنه لا يبدو على الشاشة ملائمًا لمنصب الرئاسة»!.. وركز خصوم بوش على غبائه.. وعرض ديفيد ليترمان عدة عناوين مثيرة تشير إلى رئاسة بوش منها: أمريكا أصبحت رهينة..

ونشرت مجلة Slate ملخصا (يوميًا) لزلات لسان بوش! واستخدم بول بيجالا المساعد السابق لبوش إحدى زلات بوش وأصدر كتابًا بعنوان: (هل يتعلم أطفالنا؟!).

صفات الرئيس!

ولكن كيف يصف ديفيد فروم الرئيس بوش الذى تعامل معه وعاش معه فى كل المواقف عن قرب وبشكل دقيق؟ ينتقد فروم إدارة بوش قائلاً: (إنها تفتقر إلى العقول المفكرة رفيعة المستوى.. كما أن بوش نفسه يمثل استثناءً حادًا لميثاق الرقة واللطف داخل البيت الأبيض.. فهو لاذع وحاد المزاج.. وليس رقيق الطباع! بل إن الرئيس رجل خطاء.. كثير الخطأ.. وهو غير صبور.. وسريع الغضب.. وسطحى.. وزلق اللسان أحيانًا.. ودوجماتى (ملتزم بالعقيدة) دون دليل أو بينة. وهو ليس فضوليًا أى لا يهتم بالمعرفة.. ونتيجة ذلك فإن معلوماته ضعيفة. ويتسم نمط تفكيره بالتقليدية أكثر مما يجب أن يكون عليه القائد).ولعل هذا التحليل الدقيق لشخصية الرئيس بوش ونمط تفكيره (وليس اتجاهه الفكرى) تعكس مدى سلبيات النظام السياسى الأمريكى الذى يدعى الديمقراطية.. فهذه الديمقراطية لم تؤد إلى اختيار (الأفضل) لمنصب الرئاسة.. بل ربما أدت إلى عكس ذلك تمامًا. بمعنى أن بوش لا يعكس

شخصية المواطن الأمريكى العادى.. ناهيك عن كونه قائد دولة (عظمى).. تقود العالم.. نحو القمة.. أو إلى الهاوية.

وخلال إحدى رحلات فروم العديدة مع الرئيس بوش.. دار حوار بينه وبين إحدى نشيطات الحزب الجمهورى (امرأة فى أوائل الأربعينات من عمرها) لخصت معضلة بوش بعبارتين.. قائلة: «إنه رئيس نصف أمريكا.. وليس رئيس النصف الآخر على الإطلاق»! والخطوط التى قسمت النصفين كانت عرقية بالدرجة الأولى. وعلى رغم خسارة بوش لأصوات السود.. فإنه تفوق على والده فى الفوز بأصوات البيض.

ويصف ديفيد فروم نفسه قائلاً: لست صانعًا أو مؤلفًا للكتب.. بل إننى صحفى. وقد أتيح لى - من خلال عملى مع الرئيس - الاطلاع على واجهة الأحداث فى أكبر قصة ترويها أمريكا! وكل إنسان فى العالم يريد أن يعرف ماذا يجرى هناك فى (البيت الأبيض)، وقد قمت بذلك. وقد وصف مؤرخ إنجليزى الحكومة ذات مرة قائلاً: إنها مغامرة لا تنتهى. وقد تنجح مغامرة بوش.. وهذا أملى.. وسواء نجحت أم فشلت فإنها جديرة بالمشاهدة. إن ثقتى ببوش ليست عميقة. ولكن فضولى لمعرفة الحقيقة والوقائع شديد!!

يواصل فروم حديثه قائلاً: «في حواري مع كبير كتاب خطابات بوش.. سألني: ما هو البديل! لقد خسر المحافظون المعارك السياسية على مدى سنوات طويلة». وجيرسون يعلم أنني صحفي وسوف أنشر مقالات أنتقد فيها بوش. وها هو ذا بوش يريد الحصول على فرصة مني.. فهل أرفض الحصول على فرصة منه؟! لقد قبلت القيام بتلك المغامرة بنفسي. وكنت أطالع وأتابع البيت الأبيض (من الخارج) لفترة طويلة جدًا.. فلم لا أشاهده وأعايشه (من الداخل)؟! إذا كان الأمر كذلك.. فلا ضرر من معرفة الإنجيل بشكل أفضل.

تدوير.. الأفكار!

وإذا كان فروم يقول هذا عن نفسه.. فماذا يقول عنه الآخرون!! يعلق أحد الأمريكيين على كتابه (الرجل المناسب): إنه مجرد كتاب يميني.. وفروم كاتب غير بارع.. ولا يقدم أفكارًا جديدة.. إنه فقط يعيد (تدوير) المواد التي ينتجها معهد (أمريكان انتربرايز)!. ويرى قارئ آخر أن كتاب فروم (محبط).. فبعد عشر سنوات من قراءتي لمقالات فروم والاستماع إليه عبر الإذاعة.. كنت أتوقع أن يهتم بقضايا مثل الرفاهية الاجتماعية والمهاجرين والمدمنين. ولكن ماذا قدم لنا فروم؟! لم يطرح سوى أفكار غامضة لا معنى لها حول (مسئولية الميزانية)

و(أطفال الغد) و(بناء التحالف). إنه مثل إنسان يكتب رواية فى الخيال السياسى!! وأستطيع أن أؤكد لك أن هناك نحو ٢٠ كاتبًا محافظًا يتنافسون حاليًا للفوز بأموال واهتمام الجماهير الأمريكية. ولتتذكر يا ديفيد أنها السوق الحرة.. ويجب عليك العمل على تطوير أفكارك وأعمالك.. قبل أن تطلب التغيير من الآخرين!

وإذا كان الكثيرون يعتقدون أن ديفيد فروم هو مبتكر مصطلح (محور الشر)، فإن لذلك قصة غريبة وعجيبة! هذه القصة توضح مدى تهافت بعض الأشخاص داخل تلك الإدارة.. كما تكشف طريقة أداء القوة العظمى فى العالم! فهذا المصطلح (محور الشر) من ابتكار زوجة فروم.. الصحفية والأديبة دانييل كريتندن.. وعندما قدمه (فروم) إلى كاتب خطابات الرئيس كان نصه (محور الحق).. فعدّله جيرسون إلى (محور الشر)!! وثار نزاع بين الطرفين حول أحقية ابتكار المصطلح.. الشرير!! إلى أن أرسلت دانييل زوجة فروم خطابًا إليكترونيًا إلى الرئيس بوش تؤكد فيه أنها صاحبة هذا المصطلح! فكانت تلك الرسالة هى التى أطاحت بـ ديفيد فروم خارج محور البيت الأبيض!! وضاع الشر بين محاوره! وربما تبدلت الظروف والأحوال.. وأطاحت بصناع الشر.. ومصطلحه!

تراجع المحافظين الجدد

وتعليقًا على كتابه الأخير (نهاية شر).. يقول الكاتب الأمريكي روبرت دريفوس: إن فروم وبيرل. (وشركاءهما!!) يقدمون لنا قائمة طويلة من الأفعال والواجبات والرغبات التي تعبر عن وجهة نظر المحافظين الجدد. ويبدو أنهم في عجلة من أمرهم لتنفيذ تلك القائمة. فبعد العراق يطالبون بالإطاحة بنظامي إيران وسوريا وفرض حصار شامل على كوريا الشمالية وتوجيه ضربة استباقية لمنشآتها النووية.. واعتبار فرنسا والسعودية ضمن الأعداء.. وتقسيم أوروبا.. والضغط على الصين.. والانسحاب من الأمم المتحدة.. وسحق الطموحات الفلسطينية. إنهما لا يريدان فقط إنهاء الشر خارج الولايات المتحدة.. بل داخلها أيضًا! وهما لا يقصدان الإرهابيين داخل أمريكا.. بل كل عناصر الشر في وكالة المخابرات الأمريكية CIA.. ووزارة الخارجية الأمريكية.. ومكتب التحقيقات الفيدرالي FBI.. والبنتاجون.. وفي الحكومة الأمريكية بأسرها! وهما لا يحددان جدولاً زمنيًا لإنجاز تلك القائمة الطويلة.. ويبدو أنهم يخططون لتنفيذها خلال الولاية الثانية للرئيس بوش.. إذا فاز!

يصف دريفوس الكاتب فروم بأنه إنسان مراهق ومبتدئ ذو وجه طفولي.. حظي بشهرته خلال عمله بالبيت الأبيض

لفترة قصيرة.. كما اشتهر مع بيرل وشركاه بالمسئولية الفكرية والتنظيرية عن المستنقع العراقى. إنهم لا يخجلون من السقوط أو إسقاط بلادهم فى هذا المستنقع.. ويرون أن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم! ويطالبون بتكرار تجربة العراق مرات.. ومرات!!

وعلى رغم ذلك لا يمكن تجاهل النتائج التى تؤكد انزعاج صناع الشر (فروم وشركاه!) من تراجع شهية الرأى العام الأمريكى فى سياسة خارجية مستأسدة على الضعفاء. بل إن قدرة أمريكا على هضم واستيعاب اتجاه المحافظين الجدد تتراجع تدريجيا.. وربما أصبحت تلك هى اللحظات الأخيرة التى يقضونها تحت الأضواء! لقد اتضح تراجع عصر المحافظين الجدد.. كما أن تأثير هجمات الحادى عشر من سبتمبر بدأت تتبدد داخل الولايات المتحدة ذاتها.. وبدأت أمريكا تفيق.. وتدرك الحقائق.. وتكتشف الأكاذيب الكبيرة التى تقود العالم إلى الدمار والهلاك.

الأخطر من ذلك.. أن ديفيد فروم وريتشارد بيرل يشهران سلاح معاداة السامية فى وجه كل من ينتقدهما أو يهاجمهما.. ويقولان: (إن أسطورة المحافظين الجدد تقدم للأوروبيين والليبراليين وسيلة للتعبير عن معاداتهم لإسرائيل). وإذا اختلفت مع آراء فروم وبيرل. إذن فأنت تكره اليهود! بل إن

ديفيد بروكر ذهب إلى أبعد من ذلك فى النيويورك تايمز مؤخرًا.. قائلاً: «عندما يستخدم النقاد مصطلح المحافظين الجدد.. فإن الجدد تعنى (اليهود). ويزعم فروم وبيرل أن الصحفيين فى أنحاء العالم يسألونهما: هل الحرب على الإرهاب.. مؤامرة صهيونية»؟!

وعندما تقرأ فكر المحافظين الجدد.. تكتشف أنهم يقولون: «إن المحافظين الجدد ليسوا يهودًا كلهم»!

ولكن السؤال الذى يفرض نفسه بقوة هو: لماذا نرى يهودًا كثيرين ضمن المحافظين الجدد؟!! ويزعم فروم - وشريكه بيرل - أنهما يدافعان عن العالم المتحضر!! وقد لا يستمع العالم المتحضر إليهما!! ولكن المشكلة تكمن فى أن بوش ينصت إليهما باهتمام شديد.. وينعكس تأثيرهما السلبى الخطير على العالم بأسره.. من خلاله!